CENTER FOR
STRATEGIC &
POLICY STUDIES

CSPS
SOUTH SUDAN

مُنتَدى الفِكـــر

يونيو ٢٠٢٢

فيكتوركيري..

فولكلوري رائد من جنوب السودان

فيكتور كيري..

فولكلوري رائد من جنوب السودان

أتيم سايمون

باحث وكاتب صحفي مقيم بجوبا

منسق منتدى الفكر التابع لمركز جنوب السودان للدراسات الاستراتيجية و السياسات

ان اهتمام الاستاذ فيكتور كيري واني بتدوين وتوثيق انماط الحياة الاجتماعية الشعبية ، وجمع اشكال التعبير الشفهي و الثقافة المادية لمجتمع المادي في جنوب السودان ، يعتبر مجهودا اضافيا للمكتبة في جنوب السودان ، في ظل ضآلة و قلة الكتابات و الدراسات التي تركز على دراسة تلك الجوانب الهامة في حياة الشعوب و المجتمعات وخاصة الدراسات ذات الطابع الميداني التي لم تجد الاهتمام الكافي من الباحثين والدارسين المتخصصين في حقول التاريخ ، اللغات ، الاجتماع ، الأنثروبولوجيا و الفولكلور وقد يكون ذلك بسبب الاوضاع التي تسببت فيها الحرب من ابعاد قسري لتلك المجتمعات عن مناطقها الاصلية او لأسباب تتعلق بعدم اهتمام البحث العلمي في جنوب السودان بتلك الضروب المعرفية ، ولكن ذات الاوضاع التي يعتقد البعض انها تمثل معضلة رئيسية امام دراسة حياة المجتمعات في جنوب السودان ، كانت هي الدافع الرئيسي الذي قاد فيكتور كيري واني لان يتفرغ لدراسة تاريخ ، ثقافة ، معتقدات وفولكلور مجموعة المادي في جنوب السودان ، وذلك لقناعته الراسخة بان هناك قليل جدا من الكتابات و الدراسات قد اهتمت بتوثيق حياة المجموعة وتجاربها.

بدأ فيكتور كيري واني حياته كصحفي محترف في راديو جوبا في العام 1975، وقد تلقي دراسات متخصصة في مجال العمل الاذاعي من جامعة كاسل و معهد التدريب التابع لوكالة دوتشي فيللا الالمانية في ثمانينيات القرن الماضي ، كما تلقي العديد من الدورات المتخصصة في الراديو من هيئة الاذاعة البريطانية في لندن في سبعينيات القرن المنصرم الى جانب العديد من الدراسات في ملاوي ونيروبي وطوكيو ، وخلال فترة عمله الاذاعي ساهم فيكتور كيري في كتابة العديد المقالات التي تهتم بدراسة تاريخ وثقافة مجتمع المادي

، وقد شارك مع اخرين في الدراسة التي نشرها الدكتور جون مابيري بلاكنز عن عادات ، طقوس وممارسات المادي في السودان وجنوب السودان ، كما صدر له كتاب اخر عن الاسلام في جنوب السودان صادر عن جامعة افريقيا العالمية في العام 2006، كما شارك في الكتاب الذي اصدره البروفسير تعبان لو ليونق عن (المرأة في الحكاية الشعبية والقصة القصيرة في افريقيا) ، وقد صدرت لفيكتور كيري كتب اخرى في دراسة تاريخ الاعلام ووسائل الاتصال الجماهيري و الاذاعة بجنوب السودان .(Wani 2020:295)

أصدر فيكتور كيري في الاعوام 2019 و2020 كتابين كرسهما لجمع وتوثيق الممارسات الثقافية لمجتمع المادي في دولة جنوب السودان، حمل الاول عنوان (الموت وطقوس الدفن عند المادي في جنوب السودان)، بينما جاء الكتاب الاخر بعنوان (الحكايات الشعبية عند المادي بجنوب السودان) جمع فيها حوالي 50 من الحكايات والاساطير المتداولة عند المجموعة، وقد جاءت مادتي الكتابين الاساسية والتي اعتمد فيها فيكتور كيري على رواة واخباريين كانوا موجودين بالعاصمة السودانية الخرطوم والبعض منهم بمدينة جوبا عاصمة جنوب السودان.

بدا اهتمام فيكتور كيري بالأدب الشعبي و بالأخص الحكاية الشعبية و بقية اشكال التعبير الشفهي الأخرى بدافع شخصي يعود الى افتتانه بها منذ سني طفولته الباكرة في (مولي- توكورو) حيث نشا وترعرع ، لكنه بدا جهده الفعلي بجمعها من رواتها في العام 1974 بعد انتقاله لمدينة جوبا عاصمة الاقليم الجنوبي آنذاك ، واستمر في عملية الجمع حتى بعد انتقاله للعاصمة السودانية الخرطوم والتي كانت تتواجد بها اعداد كبيرة من النازحين الجنوبيين الذي فروا من مناطقهم بسبب الحرب ، حيث استطاع مقابلة اعداد كبيرة من الرواة بمعسكرات دار السلام وود البشير.

وردت العديد من التعريفات في القواميس والمعاجم الفولكلورية للحكاية الشعبية، وقد اجمعت تلك التعريفات على جملة من العناصر المشتركة في كونها واحدة من اشكال الادب الشعبي التي ينتجها الخيال الجمعي ويتم تداولها شفاهيا من جيل الى جيل (ابراهيم، د.ت).

وبالنسبة للبروفسير محمد المهدي بشرى فان الحكاية الشعبية تتجاوز مجرد كونها نص ، مبينا بان هناك عدة عوامل تحدد الحكاية الشعبية كجنس فولكلوري ،وهي النص و المؤدي و السياق ، يضيف اليها ردود افعال ومشاركة الجمهور ، مع اهمية دراسة الراوي او المؤدي الذي يعتبر عاملا حاسما في خلق وبلورة الجنس الفولكلوري(بشرى2004:44)، وقد انتبه فيكتور كيري للسياق الطبيعي الذي تؤدى فيه الحكاية الشعبية في القرية ، حيث يختار الناس اوقاتا ومواسم محددة يتحلقون فيها صغارا وكبارا حول النار في الباحة الكبيرة للقرية ، منها فترة حصاد السمسم حيث يتجمع الناس للاستماع للحكايات التي ترويها نساء لهن قدرات في الحكي و السرد و الامتاع (Wani2020).

ومهما يكن من امر فان تحديات البناء والإصلاح السياسي في جنوب السودان تتمثل في غياب الإرادة السياسية،

اذ يقول :" تكاد تتشابه موضوعات ، قضايا ورسائل وحتى بنية الحكاية الشعبية في كثير من بلدان القارة الافريقية باعتبارها ادب شفاهي انتقل عبر المسافرين

في تجربة جمع وتوثيق حكايات المادي الشعبية ، اعتمد فيكتور كيري على جمع تلك الحكايات من الرواة مباشرة عن طريق الجلوس اليهم وتسجيلها في شكل مقابلات مباشرة من لغة المادي ليقوم بترجمتها لاحقا الى اللغة الانجليزية ، وذلك باستخدام خبرته وما تلقاه من تدريب في اجراء المقابلات الصحفية للإذاعة او للصحافة الورقية التي اشتغل بها ففترة طويلة في جوبا و الخرطوم ، علما بان مناهج العمل الصحفي و الاذاعي تختلف كلية عن اساليب الجمع الفولكلوري ، ونسبة لانتفاء السياق الطبيعي للسرد والحكي ، جاءت الحكايات في قالب قصصي لخلوها من الجمهور الذي يتفاعل مع الراوي ويتفاعل الراوي معه :" ان اداء الحكاية الشعبية ليس مجرد سرد فحسب ، بل هو عملية خلاقة تهدف لتوصيل رسالة للجمهور في قالب جمالي ، هذه الرسالة هي اللغة الكامنة في جوهر الاداء ، ولما كان الاداء يعتمد اساسا على الراوي وعلى اسلوبه الخاص كان من الصعوبة تسجيل الاداء كتابة (بشرى 2004:45)، فالحكايات التي جمعها فيكتور كيري في كتابه جاءت مترجمة من لغة المادي ودونما توافر السياق الطبيعي الذي يستطيع من خلاله الراوي تقديم الحكاية في قالبها المتكامل من حيث اللغة و التعبيرات ونموذج التكرار المتبع في الاداء ، ففي هذه الحالة تكون التجربة اقرب الى اعادة كتابة النصوص من لغتها الام ، ويتعذر علينا الوقوف على مدى التزامها بالمنهج نسبة لغياب اي اشارات في الكتاب للتركيب الموروفولوجي و اللغوي للحكاية عند المادي ، خاصة في افتتاحيتها و خاتمتها ، هل هناك اي تفاعل متبادل بين الجمهور والراوي ام لا هل توجد عبارات نمطية مرددة في الحكاية ام انها تختلف باختلاف الرواة وقدراتهم في السرد والحكي ، ولم تشير كذلك جملة الدراسات المتعلقة بالحكاية الشعبية في افريقيا الى التركيب الموروفولوجي للحكاية في شرحها وتحليلها.

تنبع اهمية جمع ودراسة وتوثيق الادب الشعبي بشتي ضروبه وانواعه نسبة لما يتمتع به من ادوار ووظائف ، كمفهوم اسست له المدرسة الوظيفية في دراسة وتحليل الادب الشعبي وكافة الظواهر الثقافية الاجتماعية ، اذ ينصب التركيز في الجمع الفولكلوري علي تدوين وتوثيق المادة حتي تكون متاحة للدراسة والتحليل كخطوة لاحقة ، وقد حاول فيكتور كيري في بعض الاحايين تزييل الحكايات بشرح يوضح وظيفتها كما في الحكاية رقم 7 و التي تحمل عنوان (رحلة الى السماء) اذ يضيف في نهاية الحكاية بقوله :" تعلمنا هذه الحكاية الشعبية الحاجة لاحترام اي اتفاق نصل اليه مع اي شخص لان انتهاكها قد يجر علينا مشاكل حقيقية"، وكذلك الحال في الحكاية رقم 27 بعنوان (لماذا يعيش الكلب مع الانسان) اذ يكتب في نهايتها شارحا :" هذا هو السبب الذي يعيش بموجبه الكلب مع الانسان في البيت بنما بينما يعيش القرد في الغابة متجنبا للإنسان و الكلب. (Wani، 2020)، فالمفهوم الوظيفي للحكاية الشعبي يستشف بفطنة وذكاء الجمهور فالحكاية لا يتم تفسيرها وتخضع لمنطقها الداخلي الذي يختلف عن واقعنا اليومي المعاش، مثلها مثل انماط الابداع الشفهي الاخرى.

في محاولته لجمع الحكاية الشعبية عند مجموعة المادي بجنوب السودان ، مزج فيكتور كيري بين الحكاية الشعبية Folktale و الأسطورة Myth ، فقد اورد في متن الكتاب بعض الاساطير على انها حكايات شعبية ، وهذا يعود الى عدم ايراده في مقدمة الكتاب لأي تعريفات تفصيلية للحكاية الشعبية وانماطها وتصنيفها ، وتعامله مع جميع اشكل السرد القصصي الشعبي المتداول شفاهيا باعتبار انها حكايات شعبية ، مثلما انه يعتبر ان الحكاية الشعبية هي ذات نفسها الحكاية الخرافية و الاسطورة حيث يشير الى الحكايات التي قام بجمعها الاخوة جاكوب ووليم غريم في المانيا، فالأسطورة عند مرسيا الياد تحكي كيف جاءت حقيقة ما الى الوجود ، فهي دائما تحكي حكاية خلق، ولا تتحدث الا عما قد حدث فعلا (الياد 1991:45) ، بينما ترى نبيلة ابراهيم ان الاسطورة هي محاولة لفهم الكون مظاهره المتعددة او هي تفسير له ، لكنها لا تخلو من منطق معينة وفلسفة انتاجها الخيال الشعبي ، وهي تنقسم الى عدة انواع منها الاسطورة الطقوسية واسطورة التكوين والتعليلية و الاسطورة الرمزية (ابراهيم د.ت:19) عليه فإننا نجد ان النصوص التي اوردها فيكتور كيري تحت العناوين (رحلة الى السماء ،كيف اكتسب الذئب علامات قبيحة ،كيف انتهت الصداقة بين التمساح و القرد ،لماذا يعيش فرس النهر تحت الماء اثناء ساعات النهار) فجميع تلك الحكايات تبدو اقرب للأسطورة التعليلية كجنس مختلف عن الحكاية الشعبية في تعريفاتها ودلالاتها. (Wani، 2020).

في مستهل كتابه عن الحكاية الشعبية عند المادي ، حاول فيكتور كيري تفسير تشابه الحكايات الشعبية لدى العديد من الشعوب الافريقية وبقية شعوب العالم في موتيفاتها الرئيسية وقضاياها والرسائل المتضمنة فيها ، وقد عزا وجود ذات الحكايات في مناطق اخرى في العالم الى الانتشار الثقافي بموجب حركة الناس وترحالهم من مكان الى اخر في الماضي ، اذ يقول :" تكاد تتشابه موضوعات ، قضايا ورسائل وحتى بنية الحكاية الشعبية في كثير من بلدان القارة الافريقية باعتبارها ادب شفاهي انتقل عبر المسافرين ..ويرجح ان يكون هؤلاء المسافرين هم الذين قاموا بنشر تلك الحكايات على امتداد القارة الافريقية" (Wani، 2020)، كما يعتقد ايضا ان الارساليات المسيحية قد ساهمت ايضا في نقل تلك الحكايات بين بعثاتها في العديد من المناطق داخل القارة ،كما انه يشير الى اعمال دكتور اولي بيير الذي قام بالكتابة عن الحكاية الشعبية في الكونغو و الاب الكاثوليكي فيتورينو ديلاغياكوما الذي قام بجمع عديد من الحكايات الافريقية حيث قام بتصنيفها الى حكايات الحيوان ، حكايات ايسوب ، حكايات ماذا ، والاساطير و القصص الخرافية ، وهو تفسير تدعمه من وجهة نظر الفولكلوريين العديد من النظريات والمدارس التي حاولت تقديم تفسير منهجي لتشابه موضوعات الحكايات بين مختلف شعوب العالم ، منها المدرسة الفنلندية التي يتزعمها الباحث الألماني ثيودور بنفي في العام 1859 ، والذي قام بنشر مجموعة من الحكايات الهندية التي ترجع الى القرن الثالث الميلادي ، حيث اشار الى التشابه الملفت بين الحكايات السنسكريتية و الحكايات الاوربية ، وحكايات الشعوب غير الاوربية ، ويرد بنفي ذلك التشابه للصلات التاريخية والثقافية بين تلك الشعوب عن طريق الاستعارة ، حيث اعتبر ان الهند القديمة

مثلما انه يعتبر ان الحكاية الشعبية هي ذات نفسها الحكاية الخرافية و الاسطورة حيث يشير الى الحكايات التي قام بجمعها الاخوة جاكوب ووليم غريم في المانيا،

هي المستودع الاساسي الذي امد الشعوب الاوربية بتلك الحكايات التي رحلت منها بالشكل الشفاهي او المكتوب الى فارس و الجزيرة العربية ، وكذلك ظهر المنهج الجغرافي التاريخي في تفسير تشابه الحكايات و اساطير الشعوب ، وترى تلك المدرسة ان الحكاية الواحدة توجد لها مئات الروايات الشفهية التي لابد وان تكون قد نشأت في زمان ومكان محددين عن طريق عملية اقتراع واعية ومن ثم تنتقل من مكان الانتقال في شكل دوائر تتسع باطراد ، ويتأثر انتشار الحكاية الشعبية من وجهة نظر هذه المدرسة بدروب السفر و التجارة و ربما ايضا بالتأثير الثانوي للنصوص المخطوطة والمطبوعة ، وقد مثل ظهور نظرية العوالم الفلكلورية لريتشارد دورسون تطورا جديدا في تفسير انماط التعبير الشفهي ، حيث تقوم تلك النظرية على تمييز التراث الشعبي لكل من العالمين القديم و الجديد ، فهو يرى بان التراث الشعبي المتداول في العالم الجديد (الأميركتين) ليس هو التراث الاصيل لأبنائها الاصليين فقط ، كما انه ليس تراث المستعمرين الاوربيين الذين جلبوه معهم (الجوهري 1978:177)، وبمقارنة خلاصة تلك الاتجاهات المفسرة لتشابه قصص وحكايات الشعوب مع ما ذهب اليه فيكتور كيري واني فإننا نستطيع القول ان التقارب الثقافي قد يكون واحدة من العوامل المهمة التي يمكننا الاعتماد عليها في تفسير ذلك، ويورد كيري حقيقة جديدة ايضا عن ان الحكاية الشعبية داخل مجتمع المادي تختلف في شخوصها و بنيتها من قرية الى اخرى ويدلل بحكاية (لويرا صائد الجواميس) التي تم جمعها من قرية (اوباري) و التي تختلف عن الحكاية المتداولة في منطقة (مولي).

وقد مثل ظهور نظرية العوالم الفلكلورية لريتشارد دورسون تطورا جديدا في تفسير انماط التعبير الشفهي ، حيث تقوم تلك النظرية على تمييز التراث الشعبي لكل من العالمين القديم و الجديد

اهتم فيكتور كيري ايضا بالإشارة لبعض المحاولات السابقة التي قام بها عدد من الباحثين والهواة لجمع الحكاية الشعبية في جنوب السودان، اورد منها تجربة الدكتور فرانسيس دينق، وجاكوب جيل، وجون اقويك واقويك مليث بانغول في اصدار مجموعة كتب عن الحكاية الشعبية عن الدينكا الى جانب بعض المحاولات التي قام بها بعض الكتاب الذين اهتموا بتدوين وجمع الحكايات الشعبية للنوير من بينهم فيليب مشار، ونياقاك بينين في كتابها المنشور عن دار روث في العام 1998.

وفيما يختص بالمحاولات التي بزلت لجمع وكتابة الحكاية الشعبية عند المادي يشير فيكتور كيري الى بعض الكتابات المبكرة التي نشرها المرسلين الكاثوليك من اصول اوربية خاصة الايطاليين الذين تعلموا لغة المادي خلال فترة تواجدهم في مناطق استقرار المجموعة في العام 1921 ، حيث قاموا باستخدام تلك الحكايات كمادة لتدريس الطلاب في المدارس التي اسسوها، وهي ذات التجربة التي سار عليها معهد اللغات الصيفية و الذي اهتم بكتابة وتدريس لغة المادي كما ساهم في تطوير قاموس خاص بلغة المادي ، و الاستفادة منها في كتابة الحكايات الشعبية وتقديمها ضمن المناهج التي تقوم بتصميمها لدارسي لغة المادي.

تضاف المحاولة التي قام بها فيكتور كيري في جمع الحكايات الشعبية لمجموعة المادي بجنوب السودان الى جملة المساهمات السابقة التي قام بها

الهواة والدارسين للفلكلور على قلتهم ، خاصة مساهمات فرانسيس دينق في جمع وتدوين الحكاية الشعبية واساطير الخلق (الكوزمولوجيا) عند الدينكا ، وكذلك جميس الالا دينق الذي اصدر كتاب يضم مجموعة من الحكايات الشعبية لمجموعة الشلك على الرغم من انه لم يترجم حتى الان، بالإضافة الى الجهود التي قامت بها بعض المنظمات الكنسية التي اهتمت بجمع الحكايات الشعبية للعديد من المجموعات المختلفة بجنوب السودان ، اذ ان معظم تلك الاعمال ستساهم في وضع نواة قوية لأرشيف الفولكلور بجنوب السودان مستقبلا، خاصة لو انها اتبعت اسلوب التسجيل الصوتي الى جانب الكتابة والتدوين.

الى جانب اهتمامه بجمع الحكايات الشعبية لمجموعة المادي بجنوب السودان ، نشر فيكتور كيري دراسة اخرى متعلقة بدراسة الموت و الطقوس الجنائزية عند المادي (MAADI DEATH AND FUNERAL RITES) ، وهي دراسة في المعتقدات الشعبية و الممارسات المتعلقة باخر طقوس العبور التي يتم اجراؤها للفرد بعد مفارقته للحياة ، وهي تجربة تختلف عن الاولى في كونها استندت على منهجية علمية في جمع المعلومات الخاصة بالدراسة وتحليلها ايضا ، ويرجع كيري الفضل في ذلك للدكتور لويس خميس جاجا الذي نصحه باستخدام اساليب البحث العلمي في هذه الدراسة التي لن تنحصر فائدتها على افراد مجتمع المادي وانما ستفيد الباحثين في دراسة عادات وثقافة المجموعة(Wani2019)، وقد ساهم البروفسير الوزاي موغا لادو استاذ الأنثروبولوجيا بجامعة جوبا ايضا في دفع الكاتب لإعادة هيكلة الكتاب وفقا للمنهجية المتبعة في البحث الاجتماعي ، حتى يستطيع الباحث الاجابة علي الاسئلة التي تدور في الاذهان عن (طقوس العبور) عند المادي خاصة بالنسبة لدارسي الأنثروبولوجيا.

تقع دراسة فيكتور كيري عن الموت والطقوس الجنائزية المرتبطة به لدى المادي في واحدة من حقول وميادين علم الفولكلور الذي يهتم بدراسة المعتقدات الشعبية المرتبطة بالطقوس التي تقوم المجموعات الثقافية بأجرائها في المراحل الحياتية المختلفة بدءا من الميلاد وحتى الوفاة ، ويقصد بطقوس العبور بحسب فان جنيب الطقوس التي تقام عند مرور الشخص بمرحلة هامة تتغير فيها منزلته الاجتماعية ، الغرض من اقامتها هو الاعتراف بتلك المرحلة وبانتقال الفرد الى منزلة اخرى ، وتنقسم طقوس العبور الى ثلاثة مراحل ، اهتمت فيها دراسة فيكتور كيري بالمرحلة الانفصالية التي يخرج فيها الفرد من حالته السابقة.

استهل كيري دراسته بتعريف مفهوم الموت في التراث الانساني ، كما تطرق بالذكر للأسباب التي يعتبرها مجتمع المادي سببا للموت او الوفاة لكنه توقف عند الاعتقاد السائد وسط المجموعة بان الشخص المتوفي قد يكون مسموما ، وحاول تقديم بعض التفسيرات الاسطورية للأسباب التي قد تؤدي الى موت الشخص ، وهي تصورات مرتبطة بالنظام الديني لدى المجموعة ، ولا يمكن فهمها الا من خلال تقديم شرح وافي للمعتقدات الشعبية لمجموعة المادي والتي

وهي دراسة في المعتقدات الشعبية و الممارسات المتعلقة باخر طقوس العبور التي يتم اجراؤها للفرد بعد مفارقته للحياة

لاتزال مستمرة في عديد من اوجهها و التي تؤكدها طبيعة الطقوس و الممارسات المرتبطة بالدفن و المأتم ، فالمعتقدات و المعارف الشعبية هي ما يؤمن به الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي و العالم فوق الطبيعي (الجوهري :1980.21) ، وهو ما اهتم به فرانسيس دينق في كتابه عن الدينكا في السودان حيث اسس لمدخله في دراسة الموت عند الدينكا بالمنظور الديني للمجموعة ومفاهيمهم عن الموت والخلود ، يقول دينق :"لاتعد ديانة الدينكا بجنة قادمة ، كما انها لاتعد الدينكا للموت المحتوم ، فكما انه لا مناص من الموت، كذلك يجب ان يواجه الناس بشجاعة، و بقدر ما يصنع منهم اناس خالدون ، فان الموت نهاية تغيم تصورات الدينكا عما بعدها ، ويبتدئ الخوف من المجهول جليا بينا"(دينق2001:223) ، فعلى الرغم من اشارات فيكتور كيري المتعددة لتفسير المعتقدات المرتبطة بالموت عند المادي ، الا ان افراد مساحة وافية لسياق الدين وعلاقته بالتقاليد والممارسة الثقافية عند المجموعة سيوفر مادة اضافية للدارسين والمهتمين بإجراء مقاربات اوسع لقراءة ارتباطات المظاهر الحياتية الاخرى المادية و المعنوية باستمرارية الممارسات التي باتت تأخذ شكلا من اشكال الرواسب الثقافية في عوالم خاضعة للتغير ، وهو الهدف الذي اراد الباحث تحقيقه من خلال القيام بتلك الدراسة المهمة، فالموت عند المادي حسب الدراسة لا يمثل نهاية مشوار الحياة ، وانما يعتبر انتقال من مرحلة محددة في الحياة الى مرحلة اخرى وهي سمة تكاد تكون مشتركة ومشتركة لدى العديد من الجماعات البشرية ، لكنهم يختلفون في عاداتهم الجنائزية عن بقية المجموعات التي تعزز فكرة استمرارية الحياة بدفن متعلقات الميت معه حتي يستخدمها في العالم الاخر، ففكرة المادي عن عالم الخلود مغايرة تماما فهم لا يدفنون اي متعلقات مع الميت باعتقاد ان جميع الاشياء التي كان يستخدمها خلال فترة حياته هي اشياء تخص هذا العالم وليس العالم الاخر الذي سينتقل اليه المتوفي ، لذلك فهم يرون انه من الخطأ ترك الاشياء الدنيوية لترافقه في العالم الاخر، لكنهم في الوقت ذاته يستثنون القادة الروحيين من صانعي المطر من تلك الممارسة اذ يقومون بدفنهم مع جميع متعلقاتهم الخاصة تقديرا واكراما لهم (Wani2019:66).

من التأثيرات الواضحة للمعتقد الشعبي في عادات الدفن لدى مجموعة المادي ، هي ممارسة بقر بطن المرأة التي تتوفي وهي حبلى بجنين في بطنها ، وهي من الممارسات التي كانت تتم حتى سبعينيات القرن المنصرم ، حيث يقومون باستخراج الجنين من بطن امه ليتم دفنه في قبر منفصل وبطقوس منفصلة ، وتنبع اهمية تلك الممارسة في المقام الاول للتعرف على جنس الجنين ولإيمانهم بان رحم المرأة شبيه بالقبر هو الاخر ، وقد توقفت تلك الممارسة لعدة عوامل مرتبطة بالانتقال للمدن حيث تحدث اغلب الوفيات بالمستشفيات كما تتم مراسم الدفن في المقابر العامة وليست داخل المنازل ، بجانب الخوف من انتقال الامراض ، ويعتبر انتشار التعليم عاملا حاسما في تغيير العديد من الممارسات التقليدية بين العديد من المجموعات الثقافية بجنوب السودان.

وهي تصورات مرتبطة بالنظام الديني لدى المجموعة ، ولا يمكن فهمها الا من خلال تقديم شرح وافٍ للمعتقدات الشعبية لمجموعة المادي والتي لاتزال مستمرة في عديد من اوجهها و التي تؤكدها طبيعة الطقوس و الممارسات المرتبطة بالدفن و المأتم ،

في خاتمة تقديمه لدراسة فيكتور كيري اشار الدكتور الوزاي موقا لادو ، استاذ الأنثروبولوجيا بجامعة جوبا الى ان " الكاتب استطاع ايضا ان يربط بين اهمية الطقوس الجنائزية في فولكلور مجموعة المادي ، وهو حقل في دراسة الفولكلور و التاريخ الاثني ، فالكاتب باعتباره صحفي مقتدر استطاع ان يلج في دراسته عن مفهوم الموت وطقوسه عند المادي الى عوالم الأنثروبولوجيا ، فدراسته تمثل مساهمة مهمة في حقل الأنثروبولوجيا الثقافية للمجتمعات الافريقية" (Wani 2019).

استعرض الكاتب العديد من المظاهر الفولكلورية في العادات و الممارسات الخاصة بالدفن ، وتحديدا تلك التي يتم اجراؤها للشخص الذي يتوفى بعيدا عن اسرته وقريته ومجتمعه ، حيث تعرض لطقوس الدفن الصوري او دفن الشبح (Ghost burial) ، والذي يتم من خلاله استدعاء روح المتوفي نظريا لدفنه مقابر الاسرة لان تركه بعيدا سيتسبب في وفاة اشخاص اخرين في الاسرة بعيدا عن بيوتهم ولن تقام لهم مراسم دفن تليق بهم مثله ، وهو طقس تقوم به العرافة التقليدية التي تستدعى المتوفي بالتحدث اليه وذلك بحضور زوجته وابنائه الكبار و بقية الارامل ، وتصاحب ذلك الطقس مجموعة من الممارسات التي تنتهي بتقديم الذبائح لروح المتوفي الذي سيعود ليرتاح مع بقية افراد اسرته بحسب معتقدات المادي.

وفي الماضي كان افراد مجتمع المادي يتبعون نظام الدفن القرفصائي في قبور دائرية ، يدفنون فيها موتاهم الذين يقضون في ظروف واوضاع طبيعية ، لكن هذا الوضع لا يسري في حالة الاشخاص الذين يقضون نحبهم في الحروب ذات الطابع القبلي ،اذ تختلف الطقوس و المراسم المتبعة في دفنهم نتيجة للأسباب التي ادت الى موتهم بواسطة اشخاص اخرين في مواجهات مسلحة ، حيث يتم وضع الميت داخل القبر في وضعية الجلوس ، ويكون وجهه مرفوعا بحيث يكون نظره مصوبا نحو الشخص الذي قام بقتله في الحرب حتى يجد نفس مصيره ، وفي حال لم تتمكن اسرة القتيل من احضار جثمانه من موقع المعركة ، فانه يخضع لذات طقوس الدفن الشبحي حتى تستريح روحه بين افراد اسرته، فتفسير تلك العادات المتبعة في التعامل مع الموت عند المادي لها صلة بالمعتقد الشعبي و الدين التقليدي الذي كانت تؤمن به المجموعة وقد لازمها الاستمرار لأنها اصبحت تمثل واحدة من الموروثات التي تتعامل معها المجموعة كجزء من سماتها الثقافية المميزة لها عن بقية المجموعات الاخرى.

اهتم فيكتور كيري ايضا بالإشارة لفنون الاداء الشعبي المرتبطة بعادات الدفن وطقوسه عند المادي ، وفنون الاداء الشعبي واحدة من اربعة اقسام نظرية وضعها ريتشارد دورسون في تصنيفه لميادين الدراسات الفولكلورية ، وهي بطبيعة الحال لا توجد منفصلة عن الاجناس الفولكلورية الاخرى ، وتكون محكومة بسياق اجتماعي ولغوي وثقافي محدد يمكن ان نسميه السياج (النور2004:81)، ومن ابرز الانماط التي اشارت اليها الدراسة نجد الرقص الذي يقام خلال فترة المأتم تعبيرا عن مدى حب الناس للشخص المتوفي ، ويحمل الراقصون بعضا من

وهو طقس تقوم به العرافة التقليدية التي تستدعى المتوفي بالتحدث اليه وذلك بحضور زوجته وابنائه الكبار و بقية الارامل ، وتصاحب ذلك الطقس مجموعة من الممارسات التي تنتهي بتقديم الذبائح لروح المتوفي الذي سيعود ليرتاح مع بقية افراد اسرته بحسب معتقدات المادي.

الاسلحة التقليدية تأكيدا للصدمة الكبيرة التي تسبب فيها الموت ، وتقام تلك الرقصات للمتوفين للأشخاص الذين توفوا بعد ان بلغوا اعمارا متقدمة وانجبوا ذرية تحمل اسمائهم ، وذلك تقديرا لهم وللواجبات التي قاموا بها في حياتهم ومنها انه غرسوا بذورا تساهم في استمرار سلالتهم وعشائرهم.

واورد كيري في سياق تناول فنون الاداء الشعبي ايضا ، الاغاني الشعبية التي يتم ترديدها واداؤها خلال تلك الرقصات عند مجموعة المادي والتي تعرف باسم (Dirges) وهي عبارة عن اغنيات قام المجتمع بصياغتها وتأليفها ولا يعرف الاشخاص الذين قاموا بتأليفها مثلها مثل بقية اشكال التعبير الشفهي الاخرى ، وهي اغنيات لا ترتبط فقط بالحزن والموت وانما تحكي التاريخ الشفهي للمجموعة و الاقليم الذي ينحدر منه المغني و العشيرة التي ينتمي اليها ، وترد فيها الاشارة للعديد من الاحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة ، وبهذا يمكن ان تعتبر اغنيات (الدرغي) واحدة من مصادر دراسة تاريخ المجموعة و استنطاق اهم الاحداث التي شهدتها المنطقة بالإشارة الى تلك النصوص المرددة كسجل تاريخي اجتماعي.

خصص فيكتور كيري مبحثا في دراسته لمفهوم الموت في فولكلور المادي ، تطرق فيه لدراسة تصورات المادي عن الموت من خلال حكاياتهم الشعبية ، ويكون بذلك قد حصر الفولكلور في واحدة من اجناس الادب الشعبي و التي لا تمثل جميع حقول وميادين وتفرعات الفولكلور المتعددة التي تمثلها الدراسة بأكملها ، كما ان الاشارة الي الحكاية الشعبية كفولكلور ربما تولدت من ان الباحث قد اجرى الدراسة تحت اشراف وتوجيهات مختص في الأنثروبولوجيا باعتبارها مجالا قائما بذاته لذلك وجبت الاشارة للفولكلور بالعبارة في محاولة تسليط الضوء على مفهوم الموت في الحكاية الشعبية عند المادي ، وبالرغم من اهمية تلك الاشارة الا ان الحاجة تظل قائمة لدراسة تحليلية منفصلة لتلك الحكايات التي لا يمكن ان نتعامل معها كنوع من الواقع بحكم ما يسندها من منطق داخلي وادوار وظيفية انتجها المجتمع لتأدية مهام محددة في سياق منفصل كلية.

ولم يهتم فيكتور كيري فقط بدراسة الطقوس والعادات والممارسات المرتبطة بالموت لدى المادي، لكنه اورد ايضا العديد من عناصر الثقافة المادية المرتبطة بها، فالمعلوم ان لكل تراث ثقافي غير مادي ابعادا مادية ملموسة مثل ادوات الزراعة، الصيد، الطهي، ادوات الزينة، الادوات الموسيقية، الادوات الحربية مثل الحراب والدروع.. الخ ، ومن امثلة عناصر الثقافة المادية المستخدمة في تلك الممارسات ترد الاشارة للأدوات المستخدمة في حفر القبول مثل نصال الحراب او السكاكين ، الى جانب الادوات المستخدمة في الرقص المأتمي كالحراب

فتفسير تلك العادات المتبعة في التعامل مع الموت عند المادي لها صلة بالمعتقد الشعبي و الدين التقليدي الذي كانت تؤمن به المجموعة وقد لازمها الاستمرار لأنها اصبحت تمثل واحدة من الموروثات التي تتعامل معها المجموعة كجزء من سماتها الثقافية المميزة لها عن بقية المجموعات الاخرى.

و النبال (النشاب)الى جانب الطبول والتي تكون ثلاثة في الغالب هي الطبل الام اي الكبيرة و طبلين اخرين بأحجام اصغر ، الى جانب الأدوات التي تستخدم في عملية تجهيز الميت ودفنه ، الى جانب تلك المستخدمة اثناء تأدية طقوس الدفن الشبحي او دفن راس الميت الذي توفي بعيدا عن اسرته وعشيرته ، الى جانب المشروبات الكحولية (Kwete) والاطعمة الشعبية التي يتم تقديمها خلال فترة المأتم.

نلاحظ ايضا ان فيكتور كيري اهتم بذكر الاسماء الشعبية لأسماء الاماكن و الاشخاص و الممارسات التي يقوم بها المادي مثله مثل اي دارس للفولكلور، حيث يقدم مختصرا للكلمات و العبارات المرتبطة بالموت عند مجموعة المادي مع شرحها وتفسيرها باللغة الانجليزية ، لكنه لم يكتفي بذلك المختصر ،وانما كان حريصا على وضع العبارات التي تستخدمها المجموعة في لغتها الاصلية كما هي اثناء سرده لتلك الممارسات و الطقوس ، وتجده يضع الاسم الشعبي للعادة مع العنوان الجانبي باللغة الانجليزية في كثير من المواضع ومن امثلة ذلك (درزني .. حمل او تحويل راس الميت) و (درغي المادي)، (اغنيات درا)، كما نجده يقوم بإيراد نصوص الاغاني والاهازيج كتابة في لغة المادي في البداية ومن ثم ترجمتها للإنجليزية في ذات الوقت.

نخلص في هذه الدراسة الى ان فيكتور كيري واني استطاع في دراسته عن الحكاية الشعبية و الطقوس و الممارسات المرتبطة بالموت عند مجموعة المادي في جنوب السودان ، ان يجمع ويوثق العديد من الاجناس الفولكلورية ، وقد حاولنا تسليط الضوء على تجربته التي توضح بجلاء اسهاماته كفلكلوري رائد من جنوب السودان ، استطاع ان يوظف خبرته المعرفية ودرايته كواحد من ابناء المجموعة للتعريف بتراثها الشفهي و المادي ، ممهدا بذلك الطريق امام المزيد من الدراسات الجديدة حول الانماط و المعارف التقليدية الاخرى في ثقافة مجتمع المادي ، ومقاربتها مع جماعاتها الاخرى الممتدة او بقية مجتمعات جنوب السودان الاخرى ، اذ تعتبر كتابات فيكتور كيري بمثابة اولى الجهود المبذولة في الجمع و التوثيق و النشر خلال الفترة التي اعقبت استقلال جنوب السودان ، حيث توقفت مساهمات الجيل الاول من الكتاب و الباحثين الوطنيين عند فرانسيس مدينق دينق في اعماله عن الدينكا ، جيمس الالا دينق في جمع وتوثيق التراث الشعبي عند الشلك، وبعض الاعمال و النماذج المتفرقة لتوثيق الحكاية و الاسطورة لدى مجموعة النوير، بالإضافة لإسهامات لويس اني في دراساته الاخيرة عن ديانات الدينكا التقليدية ، وهي جميعها مساهمات على درجة كبيرة من الاهمية لأنها ترصد التغيرات التي تطرا على واقع وحياة المجتمعات من منظور الممارسات و العادات و الطقوس المرتبطة بكافة جوانب الحياة ، وتقف على كيفية استمراريتها ودواعي الاندثار ، وتوفر مادة مكتوبة تساهم في اثراء بقية الحقول المعرفية الاخرى وتصلح في توظيفها واستخدامها في المناهج الدراسية في لغاتها الاصلية او بالإنجليزية.

ان يجمع ويوثق العديد من الاجناس الفولكلورية ، وقد حاولنا تسليط الضوء على تجربته التي توضح بجلاء اسهاماته كفلكلوري رائد من جنوب السودان

المراجع:

Wani, V. K. (2019). MAADI DEATH BURIAL AND FUNERAL RITES IN SOUTH SUDAN. JUBA: RAFIKI FOR PRINTING AND PUBLISHING.

Wani, V. K. (2020). MADI FOLKTALES FROM SOUTH SUDAN, Jomboloko the Tortoise and 50 other Titles English translated from Maadi language. juba: Rafiki for printing and publishing.

إبراهيم. نبيلة، (د.ت). اشكال التعبير في الادبي الشعبي. القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر.

الجوهري. محمد، (1978). علم الفولكلور، الجزء الاول. القاهرة: دار المعارف.

الجوهري. محمد، (1980). علم الفولكلور، دراسة في المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني. القاهرة: دار المعارف.

النور، محمد مصطفى. (2004). الفولكلور في منطقة الحامداب. الخرطوم: وحدة تنفيذ السدود.

الياد، مرسيا. (1991). مظاهر الاسطورة. دار كنعان للدراسات والنشر.

بشرى، محمد المهدي. (2004). الفولكلور السوداني، مقالات ودراسات. الخرطوم: مكتبة الشريف الاكاديمية.

دينق، فرانسيس. (2001). الدينكا في السودان. القاهرة: مركز الدراسات السودانية.

CENTER FOR
STRATEGIC &
POLICY STUDIES

تأسس مركز جنوب السودان للدراسات الاستراتيجية و السياسات (CSPS) في يوليو ٢٠١١ ، بهدف المشاركة في تنمية البلاد من خلال البحوث.وقد طور المركز برامج بحثية موجهة نحو تشكيل دولة ديمقراطية تنموية قائمة الديمقراطية التشاركية و الحكم الرشيد تحت إشرافها ورعايتها بأستخدام التنمية المستدامة، والموارد البشرية و الطبيعية لغرض وحيد هو تعزيز رفاهية المواطنين.

© ٢٠٢٢ مركز جنوب السودان للدراسات الاستراتيجية و السياسات. جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا المنشور أو نقله بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة دون إذن كتابي من مركز جنوب السودان للإستراتيجيات ودراسة السياسات، باستثناء حالة الاقتباسات الموجزة في المقالات الإخبارية أو المقالات النقدية أو المراجعات.

P.O.Box 619
Hai Jebrona, Adjacent to Martyrs School,
Opposite Simba Playground,
Juba, South Sudan.

+211 920 310 415 | +211 915 652 847
https://csps.org.ss